عنوان البرنامج: القيم
الوحدة الثانية: مفهوم القيمة في ترابطاته مع مفاهيم ذات الصلة
الدرس الثاني: القيمة والأخلاق والسلوك
اسم المحاضر: الدكتور محمد بلكبير

# القيمة والأخلاق والسلوك

**بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد**

نواصل الحديث عن القيم بعدما تكلمنا في الحصة السابقة حول القيمة والحاجة والدافعية، ويدخل هذا الترابط بين هذه المفاهيم ومفهوم القيمة من أجل تبيان وتوضيح المفهوم الصحيح لكلمة قيمة أو لمفردة قيمة، نظرا لأنها تتداخل مع مجموعة من المفاهيم المرتبطة بها، لدرجة أن هذا التداخل قد يحدث نوعا من الاختلاط بين مفهوم القيمة وهذه المفاهيم. وقد أوضحنا في الحصة السابقة قضية القيمة والحاجة والدافعية، وتبين لنا الاختلاف القائم بين القيمة من جهة، وبين هذين المفهومين الحاجة والدافعية. فيما يخص حديثنا اليوم سيكمل تبيان الفوارق القائمة بين القيمة ومفاهيم أخرى مكملة وهي الأخلاق والسلوك.

عادة ما يفهم الناس حينما نتكلم عن القيمة أن القيمة هي الأخلاق أو هي السلوك، وحينما تكلمنا في حصة سابقة أوضحنا أن العرب لم يوظفوا مفهوم القيمة بالمعنى الذي نوظفه الآن، لدرجة أن هذه الكلمة لم ترد عندهم في لغتهم ولا في قواميسهم، ولكن كان هناك بديل عنها وهو الشيم والسجايا والخليقة والأخلاق، مع العلم أننا أوضحنا أن الأخلاق ليست القيم، ولذلك وجب في هذه الجلسة أن نوضح بما فيه الكفاية الفارق بين القيمة والأخلاق من جهة، وبين القيمة والسلوك من جهة أخرى.

لقد صار بالبال أن القيمة هي الاستعداد الداخلي للسلوك، هي القناعات التي تؤهل الإنسان لأن يسلك هذا السلوك أو ذاك، ومن ثمة كان تصنيف القيم إلى قيم سلبية، وقيم إيجابية، مع العلم أن

البعض يرفض أن نتكلم عن قيم سلبية في حين أن القيم السلبية موجودة، وهي التي تؤدي إلى القيام بسلوكيات أو تصرفات قد لا تقبل من طرف الأغلبية الساحقة، مما يجعلها توصف بالقيم السلبية. إذا كانت القيمة هي الجانب الداخلي الاستعدادي، هي الجانب القناعي للسلوك، يبقى أن الأخلاق هي الجانب الخارجي للقيمة بمعنى أن القيم تترجم في مجموعة من السلوكيات والتصرفات والمظاهر التي يمكن ملاحظتها ويمكن وصفها ويمكن قياسها، وبالتالي هي المظهر الخارجي. لذلك الأخلاق ليست القيم، حينما نقول فلان له أخلاق حميدة أو أخلاق طيبة أو أخلاق قد نَصفها وصفا سلبيا ليس معناه أنها القيم، وإنما هي ترجمات للقيم، أي القيم هي التي تفرز هذا الجانب، فنعبّر عن القيم أو نستدل على القيم من خلال هذه المظاهر الخارجية التي هي الأخلاق. ولذلك ارتبط مفهوم الأخلاق عند العرب ارتباطا كبيرا بالقيم، في حين أنهم كانوا يقصدون به السلوكيات، ولذلك نجد الدكتور محمد نجيب البهبيتي في كتابه تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، يتكلم عن خاصيات الشعر، ويتكلم أنه من خاصيات الشعر التجسيد والتشخيص، ولذلك العرب كانوا يشخصون وكانوا يجسدون، ومن ثمة جسدوا القيم وشخصوها في إطار الأخلاق، إذن الجوانب الخارجية التي تنبؤ على أن هناك قناعات داخلية، ويرتبط بالأخلاق السلوك، البعض يقول السلوكات ولكن هي السلوك إذ لا يمكن جمعها أو المظاهر السلوكية فنستعض عن السلوك بالسلوكيات.

إذن السلوك هو كل تصرف ينتج عن الإنسان، وقد يكون هذا السلوك إراديا، وقد يكون لا إراديا، كما أنه قد يكون شعوريا أو لاشعوريا، ويكون هذا السلوك تصرفا، كما يمكن أن يكون فكرا، إذن كل مظاهر النشاط التي تصدر عن الإنسان تعتبر سلوك. ولذلك حينما نتكلم عن القيم، فإذا كانت القيم هي القناعات والاستعددات الأولية لفرز السلوك يبقى السلوك هو الناتج، ويبقى السلوك هو ما تُظهره القيم وما يمكن أن يُنتجَ عن القيم. فالقيم هي محركات للسلوك وليست السلوك ذاته، وبالتالي يصبح لكل سلوك أو وراء كل سلوك قيمة أو منظومة قيم أي مجموعة قيم معينة، ولذلك قد يكون هذا السلوك سلوكا إراديا، فتكون هناك قيم واضحة للشخص ومتحكمة في حياته ومتحكمة في تصرفاته ومتحكمة في سلوكياته، فتُصدر هذا السلوك، وقد يكون لا إراديا حينما نتكلم، مثلا في بعض السلوكيات التي تسمى بأفعال القهرية أو الوساوس فالإنسان يصدر عنه سلوك معين، ولكن تكون وراء هذا السلوك قيمة خفية ولا يعرفها، وهناك كذلك بعض القيم لا يشعر بها الإنسان على مستوى الوعي فتحرك سلوكا غير واع، أو سلوكا لا يتم على مستوى الوعي ولا على مستوى الشعور الفردي،

إذن نستحضر من خلال هذه الحصة التي أدرجناها تكملة للقاموس المفاهيمي أو الجهاز المفاهيمي الذي يتكامل أو يساير أو يساوق لفظة القيمة. إذن قضية الأخلاق وقضية السلوك باعتبارهما مظهرين خارجيين ينبئان أو يُستدل من خلالهما على القيمة.

فالقيمة ليست الأخلاق، القيمة ليست السلوك، ولكنها دافعية للسلوك ومحرك للسلوك ومن ثمة محرك للأخلاق.